المحاضرة الثانية: مناهج البحث

ترجع كلمة منهج: إلى أصل يوناني تحت مصطلح **Odos**، و تعني الطريقة الّتي تحتوي على مجموعة من القواعد العلمية الموصلة إلى قصدنا.

كما أنّ لكلمة المنهج ترجمة للكلمة الإنجليزية **Method** و للكلمة الفرنسية **Méthode**، و للكلمة ما يقابلها في مختلف اللغات. و لقد استعملها فلاسفة كثيرون من بينهم أفلاطون بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة. كما استخدمها أرسطو بمعنى مجموعة من القواعد العامة المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم.

و يرى البعض أنّ المنهج: أفضل الطرق الموصلة إلى الحقيقة أو إلى برنامج محدّد. كما تعني الطريقة الّتي تجيب عن سؤال: كيف؟ ما الّذي يتناوله البحث؟ بغية الوصول إلى الهدف.

كما يعرف المنهج: بأنّه الطريق المؤدي إلى البحث عن الحقيقة، مستخدمين في ذلك مجموعة من القواعد العامة الّتي تنير طريق البحث للباحث للوصول إلى النتيجة. و يسمى العلم الّذي يبحث في طرق البحث عن الحقيقة بعلم المناهج.

إذا نستنتج من خلال هذه التعاريف أنّ المنهج:

- الأسلوب المنطقي الملازم لكلّ عملية تحليل تكتسي الطابع العلمي.
- المنهج تقنية من بين تقنيات المنهجية الّتي تعني مجموع المعارف و التقنيات و الأساليب الّتي تقترن بالبحث العلمي.
- يتضمن المنهج عدّة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر ثم وضع التساؤلات و الفرضيات، ثم إجراء التجارب و الاختبارات لمحاولة التحقق من صدق الفرضيات أو عدم صدقها، وصولا إلى صياغة النتائج الّتي تربط بين الواقع و الظاهرة المدروسة.
- المنهج هو فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة.
- المنهج طريقة منظمة تسير مجموعة من الخطوات، قصد تحقيق هدف البحث سواء كان الهدف نظريا أو ميدانيا.

1- مناهج البحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية:

بداية نحدّد الوجهة المنهجية في تناول مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، من حيث الأسلوب الإجرائي. و فيها لا نولي الاهتمام إلى الفرق بين المنهج و الأسلوب، الّذي هو موضع اختلاف عند بعض الباحثين؛ حيث ماهو منهج عند البعض هو أسلوب عند البعض الآخر ، و ما هو أسلوب عند البعض هو منهج عند البعض الآخر. إذ هناك من يعتبر مثلا منهج المسح الاجتماعي و منهج دراسة الحالة أسلوبين من أساليب المنهج الوصفي. في حين يعتبرهما البعض الآخر مناهج قائمة بذاتها.

ونحن نعمل برأي من يعتبرها مناهج قائمة بذاتها، نظرا لبعض الخصائص و المميزات الّتي تنفرد بها، مما يجعلنا نعتبرها مناهج منفصلة عن المنهج الوصفي، و ذلك لسهولة فهمها، و للدّقة في التمكن من العمل بها و تطبيقها في البحوث النظرية و التطبيقية.

و تتعدّد و تتنوع مناهج البحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتعدّد و تنوع الظواهر و الحالات و المشاكل و الإشكاليات في مجال البحث.

و عليه سنتناول أشهر مناهج البحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية:

1-1- المنهج الوصفي:

هو المنهج الّذي يقوم فيه الباحث بوصف الظاهرة كما هي في الواقع وصفا دقيقا كما و كيفا.

كما يعرّف بأنّه طريقة لوصف الظاهرة و تصويرها كميا و كيفيا، و ذلك عن طريق جمع المعلومات النظرية و البيانات الميدانية عن المشكلة موضوع البحث، ثم تصنيفها، و تحليلها و الوصول إلى النتيجة.

و يعرف أيضا بأنّه شكل من أشكال الوصف و التحليل و التفسير العلمي، بغية وضف الظاهرة كما و كيفا، من خلال جمع المعلومات النظرية و البيانات الميدانية و تصنيفها و تحليلها و إخضاعها للدراسة.

وبناءا على ما سبق نستنتج أنّ المنهج الوصفي هو طريقة علمية منظمة لوصف الظاهرة عن طريق جمع و تصنيف و عرض و تحليل و تركيب البيانات الميدانية و المعلومات النظرية بهدف الوصول إلى نتائج علمية تساهم في إيجاد الحلول للمشكلة المطروحة و إصلاح أوضاع معينة.

2-1- أسس المنهج الوصفي:

يقوم المنهج الوصفي على الأسس الآتية:

- **الأساس الأول:** اعتماد المنهج الوصفي على أدوات جمع البيانات الميدانية، مثل الاستبيان، المقابلة، الملاحظة، الوثائق و السجلات الإدارية، الاختبارات و المقاييس. هذا فضلا عن جمع المعلومات النظرية حول الظاهرة من مختلف المصادر و المراجع.
- **الأساس الثاني:** اتباع أسلوب الوصف الكمي و الكيفي للظاهرة.
- **الأساس الثالث:** الاستناد في الوصف على عينة بحث تكون ممثلة لمجتمع الدراسة.
- **الأساس الرابع:** العمل بأسلوب التجريد، لكي يمكن تمييز خصائص الظاهرة المدروسة.
- **الأساس الخامس:** التعميم؛ أي تعميم النتائج على الظواهر المماثلة أو المشابهة أو التعميم على بعض من أجزاء (أبعاد) الظواهر الأخرى.

1-3- مراحل المنهج الوصفي:

يقوم المنهج الوصفي على مرحلتين هما:

- **المرحلة الأولى:** مرحلة الاكتشاف و الصياغة: و فيها يقوم الباحث باستطلاع مجال محدّد من مجالات البحث الاجتماعي، بهدف صياغة مشكلات قابلة للبحث. كما تهدف هذه المرحلة إلى توضيح بعض المفاهيم، و تحديد أولويات بعض القضايا و المواضيع الجديرة بالبحث. و قد تهدف هذه المرحلة من الدراسة إلى معرفة الإمكانية العملية لإجراء بحث عن مواضيع واقعية.
- **المرحلة الثانية:** مرحلة التشخيص و فيها يقوم الباحث بجمع المعلومات النظرية و البيانات الميدانية، ثم ترتيب و تصنيف خصائص و أبعاد الظاهرة. حيث يمكن للباحث وصف المؤسسة محل الدراسة من خلال ما يتحصل عليه من وثائق و معلومات، وصف خصائص العينة مثل: السنّ، الجنس، المؤهل العلمي...

1-4- أهداف المنهج الوصفي:

يشمل المنهج الوصفي أهدافا عديدة، منها:

1. جمع مادة علمية نظرية فقط أو ميدانية فقط أو نظرية و ميدانية حول موضوع البحث.
2. تحديد و ضبط أبعاد الظاهرة.
3. الوصول إلى مقارنة الظاهرة المدروسة بالظواهر المشابهة، أو مقارنة بعض أجزاء الظاهرة المدروسة ببعض أجزاء الظواهر الأخرى.
4. توظيف رؤى و أطروحات الأفراد المبحوثين أو المسؤولين الّذين لهم علاقة بالظاهرة.
5. ربط العلاقة بين متغيرات الظاهرة و دراستها.

1-5- مصادر جمع المادة العلمية في المنهج الوصفي:

يتم جمع المادة العلمية عن الظاهرة موضوع البحث من مصدرين أساسيين هما:

المصدر الأول: المعلومات النظرية، و يتم جمعها من المصادر و المراجع بجميع أنواعها.

المصدر الثاني: البيانات الميدانية (التطبيقية)، و يتم جمعها من ميدان الدراسة عن طريق أدوات جمع بيانات الميدانية (الاستبيان، المقابلة، الملاحظة، الوثائق و السجلات الإدارية...).

1-6- خطوات المنهج الوصفي:

تتلخص خطوات المنهج الوصفي فيما يأتي:

1. اختيار موضوع البحث.
2. تحديد و ضبط إشكالية البحث.
3. صياغة فرضيات البحث.
4. تحديد مصطلحات البحث.
5. تحديد منهج الدراسة.
6. اختيار مجتمع الدراسة و عينة البحث الممثلة.
7. تحديد أدوات البحث الملائمة للدراسة و عينة البحث.
8. جمع المادة العلمية الّتي تخدم موضوع البحث.
9. تركيب المادة العلمية الّتي تم جمعها.
10. عرض نتائج البحث و تحليلها و استخلاص الاستنتاجات و صياغة الاقتراحات أو التوصيات.
11. تحرير البحث وفق خطة مضبوطة تحتوي جميع محاور موضوع الدراسة.

1-7- الأدوات و المصادر المستخدمة في المنهج الوصفي:

تستخدم في المنهج الوصفي أدوات البحث الآتية:

الأداة الأولى: الاستبيان

الأداة الثانية: المقابلة

الأداة الثالثة: الملاحظة

الأداة الرابعة: الوثائق و السجلات الإدارية

الأداة الخامسة: التقارير و الإحصاءات الرسمية

كما تستخدم المصادر و المراجع بمختلف أنواعها و أشكالها.

1-8- توظيف المنهج الوصفي:

ليس المطلوب من الطالب أو الباحث الّذي يريد توظيف المنهج الوصفي في بحثه أن يعرض كلّما يتعلق بالمنهج الوصفي، و إنّما يكون على الأقل قد تعرف على مفهومه، مراحله، أهدافه، و مصادر جمع المادة العلمية بواسطته ومن ثم يكون المطلوب منه توظيفه كما يأتي:

- يبرّر سبب اختيار المنهج الوصفي منهجا لبحثه دون غيره من المناهج.
- يبيّن بأنّ المنهج الوصفي هو المعتمد في البحث بجوانبه المعرفية، النظرية و الميدانية؛ هذا إن كان البحث نظريا و ميدانيا. و أما إذا كان البحث نظريا فقط، فيشرح بأنّ المنهج المتبنى استخدم في التنظيم و التوجيه الفكري للمادة العلمية النظرية و البحث فيها من أجل معالجة إشكالية موضوع الدراسة.
- يوضح ماذا يصف و كيف؟ و يكون توضيح هذا العنصر كالآتي:
  - عرض المادة العلمية للبحث؛ من خلال عرض محتوى محاور البحث النظرية و الميدانية.
  - تصنيف المادة العلمية للبحث.
  - تبويب المادة العلمية.
  - ربط العلاقة بين مختلف محاور و جوانب البحث.
  - التحليل الكمي للمادة العلمية للبحث، إن كانت طبيعة البحث تتطلب ذلك مع الإشارة إلى تسمية محاور البحث بعناوينها الّتي تخضع إلى العرض.
  - التحليل الكيفي للمادة العلمية للبحث.